صراع قوى الغرب الأوروبي ضد بيزنطة ١٢٦١-١٢٨٢م.

دكتـــــورة

إسمت غنيم

جامعة الاسكندرية

صراع قوي الغرب الأوروبي ضد بيزنطة
١٢٦١-١٢٨٢م.

دكتـــــورة

إسمـــت غنيـــم

جامعة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

لقد تم للبيزنطيين استرداد عاصمتهم القسطنطينية في عام ١٢٦١ م. وانهارت الامبراطورية اللاتينية ، وفر الامبراطور بلدوين الثاني (١٢٢٨ -١٢٦١ م.) إلي الغرب الأوروبي طالبا مساعدته علي استرداد عرشه . ومنذ ذلك التاريخ وقوي الغرب تحاول جاهدة العمل علي استرداد الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية . وتمثلت قوي الغرب هذه في البابوية والامبراطور السابق بلدوين الثاني وابنة فيليب اوف كورتناي وأمير آخايا وليم الثاني اوف فيلهاردوين والبندقية ، وملك الصقليتين شارل دانجو .

اما عن البابوية ، فقد كانت الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية مصدرا من مصادر قوتها ، إذ كانت البابوية تمارس نفوذها وتفرض حمايتها علي هذه الامبراطورية فضلا عن أن كنيسة آيا صوفيا التي كانت معقل المذهب الارثوذكسي قد تحولت إلي كنيسة كاثوليكية تمارس فيها الشعائر الدينية الكاثوليكية . وجاء ضياع هذه الامبراطورية بترا لجزء هام من جسد الكنيسة الكاثوليكية ، علي حد تعبير البابوية ، ومن أجل ذلك كان لابد للبابوية من الاشتراك في التخطيط لاسترداد هذا الجزء الهام ، ومباركة كافة القوي التي اشتركت في محاولات استعادة الامبراطورية اللاتينية في الشرق .

وفيما يتعلق بالامبراطور السابق للقسطنطينية بلدوين الثاني ، الذي فقد موارده وعرشه وعاش صعلوكا متجولا في ا لغرب الأوروبي ، فقد أبحر أول الأمر إلي ابوليا في جنوب شرق ايطاليا حيث ذهب لاستقباله مانفريد هوهنستاوفن ، ملك الصقليتين آنذاك (١٢٥٨ - ١٢٦٦ م.) ورحب به واغدق عليه المنح والهدايا ، ويبدو أن مانفريد أراد استغلاله في الوساطة لاصلاح ذات البين بينه وبين البابوية ، واعدا إياه إذا نجح في مهمته أن يساعده علي استرداد عرشه في

القسطنطينية [١] ، غير أن وساطته فشلت ، وانتهي الأمر بمانفريد إلي القتل في معركة بنفنتو ١٢٦٦ م. فانتقل بلدوين إلي فرنسا وعاش لبعض الوقت في بلاط الملك لويس التاسع (١٢٢٦ - ١٢٧٠ م.) ثم استقر به المقام هو وابنه فيليب اوف كورتناي في بلاط شارل دانجو ملك الصقليتين (١٢٦٦ - ١٢٨٢ م.) الذي خصص لهما معاشا سنويا من الموارد المالية لصقلية ، وقضي أيامه في التخطيط لمشروعات استرداد عرشه في القسطنطينية حتي وفاته في ١٢٧٣ م. ، واستمر ابنه من بعده يقوم بنفس الدور الذي قام به والده من قبل [٢] .

أما وليم الثاني اوف فيلهاردوين ، فقد كان يحكم إمارة آخايا كفصل للامبراطور اللاتيني في القسطنطينية حتي وقوعه اسيرا في يد البيزنطيين في معركة بلاجونيا اكتوبر ١٢٥٩ م. [٣] وقد ظل بالأسر حتي نهاية عام ١٢٦١ م. حينما سمح له ميخائيل باليولوجوس بالعودة إلي إمارة آخايا ، علي أن يكون تابعا للإمبراطور البيزنطي ، وقد أقسم له وليم يمين الولاء والطاعة ، وعينه الامبراطور من جانبه دمستقا أعظم megas domesticus لآخايا ، وسلم الامبراطور البيزنطي بعض الحصون الهامة التي كانت تتبع إمارته ، وهي مونمفاسيا Monemvasia ، ميسترا Mistra ، مينا Maina ، وهيراقيون Herakion . لكن هذا الولاء لم يدم طويلا ، فبمجرد ان أطلق سراحه حرره البابا من القسم

(1) Runciman : The Sicilian vespers , Cambridge , 1988 , PP. 51 - 52 .

(2) Carabellese : Carlo D'Angio nei rapporti Politici e Commerciali Venezia e l'oriente , Bari , 1911 , PP. 8 - 9 .

(٣) عن اشتراك وليم الثاني في معركة بلاجونيا وأسره راجع :

اسمت غنيم : معركة بلاجونيا ونهاية الصراع بين نيقية وإبيروس حول القسطنطينية ، الاسكندرية ، ١٩٩٠ ، ص ص ٢١ - ٢٧ .

الذي أداه في القسطنطينية [١] . ولما كان وليم يرغب في استرداد ممتلكاته في آخايا وطرد النفوذ البيزنطي منها ، بعد أن عاود عداءه لباليولوجوس وخلع طاعته وولاءه له ، ونظراً لأن موارده المحلية كانت محدودة ولن تتيح له الوقوف وحده في وجه باليولوجوس ، الذي لابد وأنه سيحاول استعادة سيادته علي امارة آخايا ، لذلك انضم وليم إلي زمرة القوي الغربية المعادية لباليولوجوس والمتربصة به [٢] .

أما عن البندقية فقد جاء انهيار الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ضربة خطيرة لممتلكاتها وامتيازاتها هناك ، والمعروف أن البنادقة وعلي رأسهم الدوق هنريكو داندولو كان لهم دور بارز في أحداث الحملة الصليبية الرابعة التي اطاحت بالحكم البيزنطي في ١٢٠٤ م. وأقامت الإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وحصلت البندقية آنذاك علي ممتلكات جديدة ونالت امتيازات كثيرة ، فقد أصبح بطريرك كنيسة القسطنطينية في آيا صوفيا من البنادقة وهو توماس موروسيني Thomas Mauroceni ، وهو أول كاثوليكي يتولي رئاسة كنيسة آيا صوفيا [٣] (١٢٠٥ - ١٢١١ م.) ، كما فاز البنادقة بحي كبير في القسطنطينية لمباشرة نشاطهم التجاري ، واستولوا كذلك علي معظم الجزر القريبة من الشاطئ بما فيها جزيرة ايوبيا Euobia اونجربونت Negropont ، هذا بالاضافة إلي بعض

(1) Zankythinos D. : Le Despotat Grec de Morée , Paris , vol I , P. 15 ff .

(2) Miller W. : The Latin in The levant , A History of Frankish Greece 1204 - 1566 , London , 1908 , P. 127 .

(3) Choniates N. : Historia , ed Bonn , 1835 , in C. S. H. B. , PP. 854 - 856 .

Wolf : Studies in The Latin Empire of Constantinople Chap. IX , P. 228 .

Runciman : The Byzantine Theory , Cambridge , 1977 , PP. 138 - 139 .

Walter : LA ruine de Byzance , Paris , PP. 154 - 155 .

المراكز الساحلية في شبه جزيرة المورة ، ومساحة واسعة من الأرض شمال خليج كورنثة ، كما اشتروا جزيرة كريت من بونيفيس دي مونتفرات - الذي كان قائد الحملة الصليبية الرابعة - وكانت الغنائم التي حصل عليها البنادقة من الضخامة بحيث أتاحت لدوق البندقية أن يطلق علي نفسه لقب (حاكم ثلاثة أرباع أراضي الامبراطورية البيزنطية) (١) .

وكان اسطول البنادقة هو الذي يحمي العاصمة اللاتينية في القسطنطينية وحين استطاع البيزنطيون أن يستردوا عاصمتهم في ١٢٦١ م. انهار نفوذ البنادقة وخسروا امتيازاتهم السابقة ، لذلك حاول البنادقة استرداد ما يمكن استرداده من نفوذ ، لكن ميخائيل باليولوجوس لم ينسي لهم موقفهم السابق واشتراكهم في اسقاط العاصمة البيزنطية وتعاونهم مع الامبراطورية اللاتينية ، ومن ثم خاضت البندقية تجارب مريرة معه ، وزاد الأمر سوءا بالنسبة لها ما حصلت عليه منافستها جنوه من ممتلكات وامتيازات في الامبراطورية البيزنطية بعد استردادها في ١٢٦١ م. سيأتي ذكرها فيما بعد ، لذلك انتهي الأمر بالبندقية إلي الارتماء في احضان القوي المعادية لباليولوجوس في الغرب الاوروبي والاشتراك في التخطيط لاسترداد الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية ، واسترجاع امتيازاتها هناك .

اما عن شارل دانجو ملك الصقليتين فكان الوضع بالنسبة له مختلفا عن باقي هذه القوي ، فقد اشترك مع باقي القوي المعادية لبيزنطة بهدف مختلف عن

(1) Wolf : Studies in The Latin Empire of Constantinople Chap. IX , PP. 190 - 192 .

Nicol : The Fourth crusade and the Greek and Latin Empires , 1204 - 1261 , in C. Med. H. ed . Hussey , Cambridge , 1975 , Part I , P. 286 - 289 .

Ostrogorsky : History of the Byzantine State , Oxford , 1968 , PP. 423 -

أهدافهم، فهم ارادوا استرداد الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وبالتالي استرداد نفوذهم وممتلكاتهم وثرواتهم فيها ، أما هو فكان يهدف إلي القضاء علي الامبراطورية البيزنطية ليحل هو محل الامبراطور البيزنطي ويقيم سيادة فرنسية فيها تتبع آل أنجو ، وليس آل كورتناي .

فقد توج شارل ملكا علي الصقليتين في ٦ يناير ١٢٦٦ م ، ولم يلبث أن تغلب علي مانفريد هوهنستاوفن في معركة بنفنتو في ٢٦ فبراير ١٢٦٦ م.، وبذلك آل ميراث النورمان ثم من بعدهم الهوهنستاوفن إلي شارل دانجو الفرنسي ، ولم يرث شارل من هؤلاء الصقليتين فحسب ، بل ورث أطماعهما أيضا في شرق أوروبا وفي العاصمة البيزنطية ذاتها ، وهكذا برزت أطماع النورمان والهوهنستاوفن في الامبراطورية البيزنطية مرة أخري ويكامل قوتها خلال السيطرة الفرنسية علي الصقليتين ، واشترك شارل دانجو مع باقي القوي المعادية للامبراطورية البيزنطية سواء كانت البابوية أو بلدوين الثاني وابنه فيليب اوف كورتناي أو وليم الثاني اوف فيلهاردوين ، أو البندقية ، بهدف أساسي هو استغلال هذا العداء لصالحه ولتحقيق اهدافه ومخططاته واطماعه في الامبراطورية البيزنطية كما سيتضح في صفحات هذا البحث .

وقد أكدت معظم المصادر علي هذه الحقيقة ، فقال المؤرخ البيزنطي جريجوراس : " ان شارل كان يحركه طموح عظيم ، وكانت في رأسه فكرة ، مثل بذرة زُرعت وأخذت تنمو ، هي فكرة فتح القسطنطينية التي زاد تصميمه علي تحقيقها ، وكان يعتقد أنه اذا استطاع ان يستولي عليها فانه سوف يملك امبراطورية قيصر واوغسطس ... ولم ينقطع طوال حياته عن تغذية الخطط

والمؤامرات ضد اليونان " [١] .

أما المؤرخان الايطاليان المعاصران فيلاني [٢] ، وسانيودو [٣] والمؤرخ الصقلي كارابلّس [٤] ، فقد أكدوا جميعا علي طموح شارل العريض ، الذي صور له ان باستطاعته تكوين امبراطورية تشمل البلاد المطلة علي ساحل البحر الأبيض المتوسط في الشرق والغرب علي حد سواء ، وذلك عن طريق الاستيلاء علي القسطنطينية . كما أخذوا يؤكدون علي أنه كان يعمل بنشاط وافر وصبر ملحوظ علي تحقيق خططه في هذا الشأن .

وحسب رواية المؤرخين البيزنطيين المعاصرين مثل باكيميريس (٥) .

(1) Gregoras : Historiae Byzantinae , Liber I , P. 123 , Liber II , PP. 8 - 15 , PP. 144 - 145 .

(2) Villani : Cronica , Florance , 1823 , vol I , P. 320 .

(3) Sanudo : I Storia del Regno di Romania , ed. Haph in Chroniques Greco - Romanes , Berlin , 1873 , PP. 99 - 170 .

(4) Carabellese : Carlo D'Angio nei rapporti plitici e Commerciali Venezia e l'oriente , Barie , 1911 , P. 52 .

(٥) هو جورج باكيميريس George Pachymeres ، الذي وصفه المؤرخ كرامبكر Krumbacker، بانه أعظم العلماء البيزنطيين في القرن الثالث عشر الميلادي ، وقد كتب تاريخا أسماه His- toriae Byzantinae أي (التاريخ البيزنطي) غطي فيه الحوادث التاريخية في الفترة من ١٢٥٥ – ١٣٠٨ م. ، وقد اعطي فيه وصفا حيا لعصر ميخائيل باليولوجوس ، وترجع أهميته إلي أنه كان معاصرا للحوادث كما كان يعبر عن وجهة النظر الارثوذكسية تجاه الاتحاد بين الكنيستين الشرقية والغربية ، الذي تم في عهد ميخائيل باليولوجوس في مجمع ليون ١٢٧٤م. وقد نشر تاريخه هذا في مجموعة بون البيزنطية C. S. H. B. في سنة ١٨٣٥ م. وهناك دراسة قيمة قام بها المؤرخ الفرنسي لورين عن باكيميريس ومؤلفه التاريخي هذا ، وللمزيد عن باكيميريس راجع :

Laurent V. : Deux nouveaux manuscrits de ' l'Histoire Byzantine ' , De Georges=

وجريجوراس (١) ، والمؤرخ اللاتيني المعاصر بتولي (بطليموس) اوف لوقا Ptolemy of Lucca (٢) . فانه بعد معركة بنفنتوفي ٦ يناير ١٢٦٦ م. بدأ شارل دانجو يتجه بتفكيره نحو التوسع في الشرق ، وأخذ يقوم باستعدادات لغزو القسطنطينية (٣) ، اذ انه اعتبر نفسه وارث الهوهنستاوفن ، فأصبح من حقه بناء علي ذلك ان تؤول اليه جميع ممتلكاتهم في صقلية وايطاليا ، بل وأملاك مانفريد في

= Pachymeres dans (Byzantion) , Tome , VI , 1931 , Burxelles , PP. 43 - 57 .
Ostrogorsky : History of Byzantine State , PP. 418 - 419 .
(1) Gregoras : Op cit , PP. 123 - 124 .

(٢) بتولي اوف لوقا هو واحد من كبار المفكرين في القرن الثالث عشر الميلادي ، وهو ينتمي إلي الأخوة الدومينيكان ، وكان يشغل منصبا هاما في البلاط البابوي ، وكان يؤمن ايمانا عميقا بفلسفة ارسطو ، ولبتولي مؤلفات عديدة تكلم فيها عن طبقات المجتمع من الأحرار والعبيد ، وعن العلاقة بين الحاكم والمحكوم ، والسلطة الدينية والسلطة الدنيوية . كما كتب حوليات تاريخية عرفت باسم (التاريخ الكنسي) Historia Ecclesiastica ، وقد نشرها ميورا توري Muratori في مجموعة :

Rerum Italicarum Scriptores ويرمز لهذه المجموعة بالحروف RISS ، وهذه المجموعة عبارة عن ٢٥ جزء ، ونشرت في ميلان بايطاليا في الفترة من ١٧٢٣ – ١٧٥١ م.

وقد نشرت حوليات بتولي في الجزء الحادي عشر سنة ١٧٢٧ م. وللمزيد عن بتولي ومؤلفاته راجع:

Reade , Warden , and Tutor : Political Theory to 1300 , in C. Med. H. vol VI , ed. Tanner , Cambridge , 1968 , PP. 630 - 631 .

(٣) قال بتولي اوف لوقا في هذا الصدد :

- " Anno Domini 1269 , Ecclesia Romana vocante , et emperio Similer carolus .... incipit versus orientem suam potentian dilatare "

راجع :

Ptolmy of Lucca : Historia ecclesiastica in Muratori . RISS , XI , 1727 , col. 1162 .

كورفو وابيروس وعلي ساحل البحر الأدرياتي وهذه الممتلكات كانت قد آلت إلي مانفريد بعضها عن طريق الفتح والبعض الآخر كان الصداق الذي قدمه أمير إبيروس لابنته هيلين عند زواجها من مانفريد (١) .

وكانت هذه الممتلكات قد بقيت بعد مقتل مانفريد في ١٢٦٦ ، في يد حاكم كورفو الذي كان قد عينه لحكم هذه المنطقة من ممتلكاته ، ويدعي فيليب شيناردو Philip Chinardo وقد حاول أمير ابيروس ميخائيل الثاني ان يسترد هذه الممتلكات لكنه فكر فيما هو أفضل وهو أن يستغل هذه الممتلكات لكسب تحالف جديد ضد امبراطور القسطنطينية ميخائيل باليولوجوس الذي كان العداء بينهما مستعرا ، وخاصة بعد ان انزلت قوات باليولوجوس بأمير ابيروس وحلفائه هزيمة ساحقة في معركة بلاجونيا اكتوبر ١٢٥٩ م. ، ثم فاز ميخائيل باليولوجوس بالقسطنطينية دونه، لذلك اتجه ميخائيل الثاني أمير ابيروس إلي البابا كليمنت الرابع ، واقترح عليه ان تتزوج ابنته هيلين أرملة مانفريد والتي كانت لا تزال سجينة لدي شارل دانجو ، من هنري القشتالي وهو شقيق الفونسو العاشر ملك قشتاله ، وان تؤول إليه ممتلكاتها علي ساحل البحر الادرياتي صداقا لها .

ولما كان القضاء علي ميخائيل باليولوجوس هو الهدف المشترك لأمير ابيروس، والبابا ، وشارل دانجو ، وهنري القشتالي الذي بدا حتي الآن حليفا وابنا مطيعا للبابا ، لذلك فقد وجد اقتراح امير ابيروس صدي طيبا عند البابا كليمنت الرابع ، فأرسل خطابين لشارل وهنري القشتالي من أجل عقد اتحاد بينهما

---

(١) عن ممتلكات مانفريد في ابيروس وساحل البحر الادرياتي راجع :

اسمت غنيم : معركة بلاجونيا ونهاية الصراع بين نيقية وإبيروس حول القسطنطينية ، الأسكندرية، ١٩٨٩ ، ص ص ١٢ – ١٥ .

لاسترداد الامبراطورية اللاتينية ، وكان البابا يأمل في انه مقابل أخذ هنري القشتالي لكورفو وساحل البحر الادرياتي فانه يضع جيشه وثروته الضخمة تحت تصرف الامبراطور اللاتيني السابق للقسطنطينية بلدوين من أجل مساعدته علي استرداد عرش القسطنطينية (١) .

لكن شارل دانجو لم يكن ليتنازل عن طموحاته في كورفو وساحل البحر الادرياتي بهذه البساطة ، لانه كان يعتبر هذه الحدود مفتاح الامبراطورية البيزنطية التي كان فتحها والاستيلاء عليها من أهم الأمور التي يحرص عليها ، كما سبق أن ذكرنا ، لذلك فقد أخذ شارل يحث هيلين اوف ابيروس علي رفض الزواج من هنري القشتالي وفي نفس الوقت قام شارل بمفاوضات سرية مع حاكم كورفو ، فيليب شيناردو ، بينما قام ميخائيل الثاني حاكم ابيروس بتزويجه من شقيقة زوجته ، لكن شيناردو قتل بعد الزواج مباشرة ، ويقال أن ميخائيل الثاني كانت له يد في قتله ، لذلك وانتقاما منه لهذه الجريمة قام ابن فيليب شيناردو ، ويدعي جازو Gazo بتسليم هذه الممتلكات لشارل دانجو ، الذي من ناحيته عين جازو في ١٦ يناير ١٢٦٧ م. قائدا عاما لكورفو (٢) . وهكذا فشل البابا وهنري القشتالي وامير ابيروس

(1) Marténe and Durand : Theaurus novus , vol II , PP. 437 - 438 .

Jordan : Les Registres de Clément IV , Paris 1893 , vol I , P. 398 , nots 1164 - 1165 .

(2) Pachymeres : Op. cit , P. 508 .

Malaspina S. : Historia , P. 280 ff .

Alexander P. : Achrysobull of the Emperor Andronicus II Palaeologus in favor of the see of Kanina in Albania , in (Byzantion) , Tome XV 1940 - 1941, P. 199 ff .

في اتمام هذا التحالف الذي اقترحه البابا من أجل استرداد بلدوين الثاني لعرشه في القسطنطينية .

علي أن الاتصالات بين القوي المعادية للامبراطورية البيزنطية لم تلبث ان تجددت ، ولنفس الهدف ، فاتفق كل من الامبراطور اللاتيني السابق بلدوين الثاني الذي كان يعيش في بلاط شارل دانجو ، كما سبق ان ذكرنا ، مع شارل ، ووليم الثاني اوف فيلها ردوين علي الاجتماع بالبابا كليمنت الرابع في مقره في فيتربو ، وفي ٢٥ أبريل ١٢٦٧ تم اللقاء بينهم جميعا هناك ، وبدأوا في محادثات حول مصير كل من الامبراطورية اللاتينية المقترح اعادتها في القسطنطينية ، وإمارة آخايا . ويتفق كل من المؤرخين ميلّر [1] وزاكيثينوس Zakythinos [2] ، علي أن وليم لم يحضر بنفسه هذه المفاوضات وانما حضرها نائبه ليونارد اوف فيرولي Leonard of Veroli، علي أن المؤرخ لونجنو Longnon في بحثه القيم عن " توحيد امارة آخايا ومملكة صقلية في عام ١٢٦٧ " اشار إلي وثيقة اكتشفها تؤكد حضور وليم بنفسه هذه المباحثات [3] .

وقد اسفر اللقاء في فيتربو عن توقيع معاهدتين وقعت الأولي منهما بتاريخ ٢٤ مايو ١٢٦٧ ، وكانت تتعلق بإما رة آخايا حيث أعطت لشارل دانجو نفوذا كبيرا علي هذه الامارة ، وكانت شروطها كالتالي :

(1) Miller : The Latins n the Levant , PP. 126 - 127 .

(2) Zakythinos : Le Despotat Grec de Moreé , Paris , vol I , P. 15 ff .

(3) Longnon : Le rattachement de la Principauté de Moreé au royaume de Sicile en 1267 , 1942 , P. 134 ff .

وعن شروط معاهدة ٢٤ مايو ١٢٦٧ ، راجع نفس المرجع السابق .

(١) تتزوج ايزابيلا ابنة ووريثة وليم أمير آخايا ، من فيليب دانجو ابن شارل .

(٢) يستعيد وليم حق الانتفاع بآخايا طوال حياته ، علي أن يخضع لبعض التعليمات فيما يختص بالهبات وتوزيع الاقطاعات .

(٣) في حالة وفاة وليم تنتقل الامارة إلي فيليب الانجوي أو إلي أولاده ، واذا لم تؤول لهؤلاء فانها تؤول إلي شارل نفسه .

أما المعاهدة الثانية والتي وقعت في ٢٧ مايو ١٢٦٧ ، فانها تعتبر أكثر أهمية من المعاهدة الأولي ، وتكمن أهميتها في انها كانت ترخيص لغزو الامبراطورية البيزنطية ، فقد جمعت بين الامبراطور اللاتيني السابق بلدوين الثاني ، ووليم أوف فيلها ردوين ، وشارل دانجو ، والبابا كليمنت الرابع ، بعبارة أخري ضمت معظم قوي الغرب التي كان يخشاها ميخائيل باليولوجوس ، وقد كتبت مقدمة لهذه المعاهدة وضح فيها الهدف منها ألا وهو استرداد الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية وجاء في هذه المقدمة ما يلي :

" لقد استولي باليولوجوس ، المنشق ، علي المدينة الامبراطورية القسطنطينية، وعلي كل الامبراطورية واغتصب لقب الامبراطور ، وطرد الامبراطور بلدوين واللاتين المقيمين هناك ، حتي لم يبق من امارة آخايا والمورة سوي جزء ضئيل، بعد أن أخضع لنفوذه منطقة هامة من هذه الامارة ، لذا فنحن بمساعدة الرب نتعهد بتحقيق المهمة المقدسة الخاصة باسترداد الجزء الطيب الذي اقتطعه المنشقون من جسد أمنا الكنيسة الرومانية المقدسة " .

وكانت أهم الشروط التي تضمنتها هذه المعاهدة هي :

(١) تعهد شارل بنفسه أو ورثته ، انهم سوف يعدون خلال ستة أو سبعة أعوام علي الأكثر ، ألفين من الفرسان للقتال في رومانيا (الامبراطورية البيزنطية) لمدة عام .

(٢) في مقابل هذه المساعدة العسكرية ، فان الامبراطور بلدوين ، سوف يتنازل لشارل عن السيادة علي امارة آخايا .

(٣) يتم التنازل لشارل عن الأراضي التي كانت فيما سبق تمثل صداق هيلين اوف ابيروس ، علي أن تكون لبلدوين صلات التبعية الاقطاعية .

(٤) تمنح لشارل كل الجزر الواقعة خارج ابيدوس ، فيما عدا الجزر الأربعة وهي : ساموس ، كوس ، خيوس ، ومتلين ، لتبقي هذه الجزر في حوزة بلدوين وورثته .

(٥) يكون لشارل ثلث الفتوحات المتوقعة في رومانيا ، مع السيادة الكاملة عليها ، اما الثلثين الآخرين ، ويشملان القسطنطينية والجزر الأربع السابق ذكرها فانها سوف تشكل نصيب بلدوين ، وأية مناصب يمنحها بلدوين لابد أن تكون في نطاق نصيبه هو .

(٦) يجوز لشارل أن يختار نصيبه من أية منطقة ، وذلك من بين الأراضي التي يتم فتحها ، وهي ابيروس ، البانيا ، وصربيا .

(٧) يمكن لشارل أن يضيف إلي الثلث الخاص به ، مملكة سالونيك اذا فشل من يمنحها لهم بلدوين كاقطاع في الوفاء بالتزاماتهم الاقطاعية نحوه .

(٨) في حالة وفاة بلدوين وابنه فيليب دون ان يكون لهما ورثة ، يؤول العرش

الامبراطوري ، إلي شارل وآل أنجو .

(٩) يتم ضمان كل الحقوق السابقة للبندقية في الامبراطورية اللاتينية .

(١٠) اخيرا وتثبيتا لدعائم هذا التحالف بين بلدوين وشارل ، يتزوج فيليب اوف كورتناي ابن بلدوين ووريثه من بياتريس إبنة شارل ، وذلك عندما تبلغ سن الزواج (١) .

والدارس لنصوص هذه المعاهدة يلاحظ انها نصت علي احتفاظ بلدوين الثاني بعرش القسطنطينية واللقب الامبراطوري ، وأبعدت شارل عنها ، وحتي ثلث الفتوحات في الامبراطورية البيزنطية أو رومانيا كما كان اللاتين يسمونها ، فانه يأخذه من ابيروس أو البانيا أو صربيا ، أي بعيدا عن القسطنطينية ، وان لم يفقد شارل الأمل في ان تصير القسطنطينية ملكا له في يوم ما ، فنص علي انه

(١) عن شروط هاتين المعاهدتين في ٢٤ : ٢٧ مايو ١٢٦٧ م. راجع :

- Del Giudice : Codice diplomatico del regno di Carlo I e II D'Angio , Naples , 1863 , vol II , PP. 33 - 43 .

- Du cange : Histoire de l'empire de Constantinaple sous les empereurs français , Paris 1826 , ed. Buchon , vol I , PP. 455 - 463 .

- Buchon : Recherches et Materiaux pour Servir a une Histoire de la Domination français en Grèce , Paris , vol II , 1840 , PP. 30 - 37 .

وهناك مراجع أشارت إلي هاتين المعاهدتين باختصار ، راجع :

Miller : Op. cit , P. 127 .

Ostrogosky : The paleaologi , in C. Med. H. , vol Iv, ed. Hussey , Cambridge , 1975 , P. 334 .

Nicol D. : The Greeks and union of the churches , in his Book : Byzantium : its ecclesiastical History and relations with the western world , London , 1972 , ch. v , PP. 459 - 460 .

في حالة وفاة بلدوين وابنه فيليب دون ورثة شرعيين ، فان عرش القسطنطينية يؤول إلي شارل دانجو ، اذا كان لا يزال علي قيد الحياة ، أو إلي آل أنجو . وقد حصل شارل بمقتضي هذه المعاهدة علي امارة آخايا وأضفي الصفة الشرعية علي ادعاءاته بخصوص صداق هيلين اوف ابيروس ، وثبت أقدامه في البلقان .

أما البابا كليمنت الرابع فان موقفه كان موقفا مزدوجا ففي الوقت الذي اشترك فيه مع هؤلاء الحلفاء الجدد في التخطيط والتآمر ضد القسطنطينية بهدف اخضاع الشرق اليوناني والكنيسة الارثوذكسية للسلطة البابوية ، واسترداد الامبراطورية اللاتينية ، نجده في نفس الوقت يفتح باب المفاوضات بينه وبين ميخائيل باليولوجوس من أجل اتحاد الكنيستين ، مستغلا هذه المعاهدة في الضغط علي باليولوجوس لاجابة مطالب البابوية ، واستمرت المفاوضات بين الطرفين ، وتبادلا الرسائل الخاصة بموضوع الاتحاد ، واوجه الخلاف بينهما ، حتي وفاة البابا كليمنت في ٢٩ نوفمبر ١٢٦٨ م. (١) .

ساء موقف ميخائيل باليولوجوس بعد وفاة البابا كليمنت الرابع ، لانه لم يعد باستطاعته ان يأخذ مفاوضاتهما معا من أجل اتحاد الكنيستين كذريعة لعرقلة خطط قوي الغرب الاوروبي المتآمرة ضده ، خاصة بعد أن ظل منصب البابا شاغرا لمدة ثلاث سنوات بعد وفاة كليمنت الرابع (١٢٦٨ - ١٢٧١ م.) (١) .

(١) بخصوص كل ما يتعلق بتفاصيل المفاوضات بين البابا كليمنت الرابع والامبراطور ميخائيل باليولوجوس راجع :

Geanakoplos : The Emperor Michael Paleaologus and the west , PP. 200 - 206 .

Nicol : The Greeks and the union of the Churches , PP. 457 - 460 .

بندقيا داخل مدينة القسطنطينية فانه يحاكم أمام الامبراطور . اما اذا قتل بندقي بندقيا اخر خارج العاصمة فانه يحاكم بواسطة القاضي أو القائد .

(٤) لا يطرد الجنويه من الامبراطورية ، لكن يحظر علي البنادقة والجنويه مهاجمة بعضهما للآخر في المضايق أو في البحر الأسود .

(٥) لا يمنح البنادقة أية مباني أو مؤسسات تجارية دائمة ، وانما يتحتم علي التجار البنادقة دفع ثمن أية مباني يشغلونها .

(٦) تعهد الامبراطور بألا يهاجم ممتلكات البنادقة وهي كورون Coron ، مودون Modon ، كريت Crete ، وجزر الارخبيل .

(٧) تعهد البنادقة بتقديم التعويضات عن الأضرار التي اصابت الامبراطور علي يد القراصنة البنادقة . كذلك تعهد البنادقة بألا تستخدم ممتلكاتهم مأوي أو ملاذاً للقراصنة الذين يهاجمون أراضي الامبراطورية .

وواضح من هذه الاتفاقية انها كانت في صالح الامبراطورية البيزنطية أكثر مما كانت في صالح البنادقة . وهكذا تغير الوضع وأصبح سادة الامبراطورية السابقين ، في الموقف الأضعف . واعتمد هذه الاتفاقية ووقع عليها الدوج زينو في ٣٠ يونيو ١٢٦٨ م. ، ولكنه توفي بعد ذلك بأيام قليلة ، لكن خليفته لورنزو تيبولو Lorenzo Tibolo أكد علي التزامه ببنودها (١) .

وكان التزام دوج البندقية الجديد بهذه الاتفاقية خطوة في صالح

(1) T - Th. : Op. cit , PP. 101 - 102 .

باليولوجوس، اذ ظلت قوي الغرب المتحالفة والمعادية له ، تجد في البحث عن حلفاء جدد تحكم بهم الحصار حول باليولوجوس . وحدث أن نجحوا في مساعدة يوحنا الرابع لاسكاريس علي الهرب من سجنه ، واستقبلوه في بلاط شارل دانجو في نابلي ، مرحبين به . وملوحين به في نفس الوقت في وجه ميخائيل باليولوجوس . ويوحنا الرابع لاسكاريس هذا هو صاحب الحق الشرعي في العرش البيزنطي ، والذي ينحدر من نسل ثيودور الأول لاسكاريس (١٢٠٤ - ١٢٢٢ م.) مؤسس امبراطورية نيقية البيزنطية [١] . وعندما توفي ثيودور الثاني لاسكاريس (١٢٥٤ - ١٢٥٨ .) خلفه ابنة يوحنا الرابع لاسكاريس ، ولما كان لا يزال طفلا صغيرا فقد تولي الوصاية عليه صديق والده الراحل جورج موزالون، الذي لقي حتفه نتيجة مؤامرة دبرها ونفذها ميخائيل باليولوجوس ، وتولي الوصاية علي الامبراطور الطفل ، ثم توج ميخائيل امبراطوراً مشاركا له في العرش في ١٢٥٩ م. وبعد أن استرجع باليولوجوس العاصمة البيزنطية في ١٢٦١ م. سمل عينيّ يوحنا الرابع لاسكاريس وأبعده عن العرش وأصبح ميخائيل باليولوجوس امبراطورا وحيدا علي العرش البيزنطي مكونا أسرة حاكمة جديدة . وقد سجن يوحنا في سجن داسيبيزا Dacybyza في آسيا الصغري حتي ساعدته قوي الغرب الاوروبي المتحالفة ضد باليولوجوس علي الفرار من سجنه والالتجاء اليهم طالبا مساعدتهم علي استرداد عرشه من مغتصبة ميخائيل

---

(١) عن دورثيودور لاسكاريس في احياء الامبراطورية البيزنطية في مدينة نيقية في آسيا الصغري، راجع :

اسحت غنيم : امبراطورية في المنفي ، ثيودور لاسكاريس واحياء الامبراطورية البيزنطية في نيقية ، بحث نشر في مجلة كلية الآداب جامعة الأسكندرية ، المجلد السادس والثلاثين لسنة ١٩٨٨ ، ص ص ١٨٧ - ٢٠٦ .

باليولوجوس (١) .

ولم تكتف قوي الغرب المتحالفة ضد باليولوجوس بذلك بل سعت للارتباط بتحالفات جديدة مع معظم القوي المحيطة بممتلكات الامبراطورية البيزنطية في شرق أوروبا . فتحالفوا مع ملك هنغاريا بلا الرابع Bela IV في ١٥ سبتمبر ١٢٦٩ م. ، وتعهد الطرفان بتقديم العون كل منهما للآخر ضد الأعداء المشتركين (الخارجين علي الكنيسة) (٢) . كذلك تم عقد معاهدة تحالف مع ملك الصرب ستفن اوروس الأول Stephen Uros I ، وكذلك مع قيصر البلغار قسطنطين تيك T Sar Constatine Tich الذي كان متزوجا من اميرة بيزنطية هي شقيقة يوحنا الرابع لاسكاريس ، صاحب الحق الشرعي في العرش البيزنطي كما ذكرنا ، وكان قيصر البلغار يعتبر ان اغتصاب ميخائيل باليولوجوس لحق عائلة لاسكاريس في العرش البيزنطي من الأمور التي تستوجب مناصبته العداء (٣) .

وهكذا جمعت قوي الغرب الاوروبي المتحالفة ضد ميخائيل باليولوجوس ، كل اولئك الذين كانوا غاضبين عليه أو اولئك الذين ألحق بهم الأذي ، تمهيدا للخطوة

(1) Pachymeres : Op. cit , vol I , liber I , P. 81 , vol II , PP. 103 - 104 .
Gregoras : Op. cit , PP. 173 - 174 .
Papadopoulos : Theodore II lascaris , PP. 116 - 117 .
Buchon : Nouvelles Recherches , P. 215 .
Geanakoplos : Michael Paleaologus and the west , P. 217 .
Vasiliev : Op. cit , vol II , P. 595 .

(2) Del Giudice : Cod. Dipl. , vol III , P. 138 .

(3) Pachymeres : Op. cit , P. 210 .
Geanakoplos : Michael Paleaologus , PP. 216 - 217 .
Ostrogorsky\ : The Byzantine State , P. 455 .

الحاسمة وهي غزو القسطنطينية والقضاء عليه ، واعادة الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية إلي سابق عهدها . وقد قرر المتحالفون الغربيون ان يكون موعد ابحارهم ضد القسطنطينية في صيف عام ١٢٧٠ م. وخلال فصل الربيع من نفس العام ، آخذوا في تدعيم اسطولهم والقيام بعمليات عسكرية تدريبية في موانئ جنوب ايطاليا . ونظرا لأهمية شبه جزيرة المورة في خطط المتحالفين ضد بيزنطة ، فقد ارسلوا اليها الكثير من الأموال والقوات العسكرية التي أبحرت اليها من أبوليا ، وفي شهر مارس من عام ١٢٧٠ م. أرسلوا اسطولا مكونا من ٢٥ سفينة تحت قيادة انسل دي توسي Ansal de Toucy ، وفي ١٧ يونيو ١٢٧٠ م. تم زواج فيليب ابن شارل دانجو من ايزابيلا ابنة وليم الثاني اوف فيلها ردوين ، بعد ان انتهت الاستعدادات وجري التنسيق بين المتحالفين لغزو القسطنطينية (١) .

ومع اقتراب الخطر ، أخذ ميخائيل باليولوجوس في تقوية أسوار العاصمة ، كما وجه مزيدا من الاهتمام للاسطول وأعاد تنظيمه ، وفي نفس الوقت لجأ لاستخدام الديبلوماسية البارعة ، فلجأ إلي الملك لويس التاسع ملك فرنسا ، الذي عرف بالعدل والتقوي ونال احترام معاصريه فبدأت الاتصالات بين الطرفين في عام ١٢٦٩ م. اذ أرسل اليه باليولوجوس سفارة ، في الوقت الذي كان لويس يقوم بالاعداد لحملة صليبية جديدة لتحرير الاراضي المقدسة في فلسطين ، يسترد بها بيت المقدس من جديد ليد المسيحيين ، ويعوض بها الفشل الذي حاق بحملته السابقة المعروفة باسم الحملة الصليبية السابعة (٢) .

(1) Zakythinos : Le Despotat , vol I , PP. 48 - 49 .

Ostrogorsky : Op. cit , P. 455 .

Geanakoplos : Michael Paleaologus , P. 222 .

(٢) عن كل ما يتعلق بالحملة الصليبية السابعة راجع : =

وهذه الحملة الصليبية المقترحة التي اعدها لويس التاسع لم تكن موضع رضي قوي الغرب الاوروبي المتحالفة ضد بيزنطة بل كانت ضربة لآمالهم في الاسراع بالهجوم علي العاصمة البيزنطية ، لأنها من جهة استحوذت علي اهتمام الرأي العام في الغرب الاوروبي ، اذ أن حملة صليبية ضد المسلمين أجدر بالاهتمام من تحطيم بيزنطة ، كما ان الأموال التي كان المتحالفون يطمعون في أخذها من الملك لويس لمساعدتهم في حملتهم المرتقبة ضد بيزنطة قد انفقت علي حملة لويس الصليبية بل أكثر من ذلك فان لويس كان يضغط عليهم وخاصة زعيمهم (شقيقه) شارل دانجو من أجل توجيه قواتهم العسكرية واسطولهم للهجوم علي بيزنطة ، لمساندة الحملة الصليبية الجديدة . وهكذا لم يكن الوقت مناسباً أبدا من وجهة نظر المتحالفين لقيام لويس بحملته الصليبية .

استغل ميخائيل باليولوجوس هذه الظروف وعرض علي الملك لويس بذل المساعدة العسكرية .له في حملته الصليبية لاسترداد الأراضي المقدسة في فلسطين (١) . فرد لويس علي سفارة باليولوجوس بسفارة مماثلة وصلت بيزنطة في بداية عام ١٢٧٠م. وعادت لملك فرنسا خلال الشهور الأولي من نفس عام ١٢٧٠ م. ، مصحوبة بسفارة يونانية تحمل رسالة هامة من باليولوجوس إلي الملك لويس ، وفيها أوضح الامبراطور البيزنطي انه فيما يتعلق بموضوع الاتحاد بين كنيستيّ روما والقسطنطينية ، فانه هو ورجال الكنيسة والشعب ، علي استعداد تماما لقبول هذا الاتحاد ، علي ان يكون الملك لويس حكما في هذا

= جوزيف نسيم يوسف : العدوان الصليبي علي مصر ، هزيمة لويس التاسع في المنصورة وفارسكور ، الاسكندرية ، ١٩٦٩ .

(1) Jordan : Les Registres de Clément IV , PP. 1201 - 1204 .
Geanakoplos : Micheal Paleaologus , P. 224 .

الموضوع (ويقرر شروط اتحاد الكنيستين) . وطمأنه مقدما أنه سيجد منه كل التعاون ، كما أكد له أنه سيخضع لقراره الشخصي فيمايتعلق بخطط المتحالفين ضد بيزنطة (١) .

وقد كان رد لويس علي باليولوجوس فيما يتعلق باتحاد الكنيستين أنه لا يستطيع ان يتخذ قرارا دون موافقة الادارة البابوية Curia (٢) . وفيما يتعلق بمشكلة استعدادات قوي الغرب الاوروبي المتحالفة ضد بيزنطة فان لويس رفض رفضا تاما فكرة غزو القسطنطينية، وكان لديه من الأسباب ما يبرر هذا الرفض ، ففي حالة توجيه القوات المتحالفة للهجوم علي بيزنطة فلن يكون لها دور فعال في الحملة الصليبية المقترحة وأخذ لويس يضغط بشدة علي هذه القوي وخاصة شقيقه شارل ليتخلوا عن خططهم في الهجوم علي القسطنطينية ، فاضطروا ازاء ذلك إلي تأجيل هذا الموضوع انتظارا لما تسفر عنه الأحداث الخاصة بحملة لويس الصليبية (٣) .

وهكذا كان باليولوجوس موفقا في اختياره للملك لويس واتخاذه حكما فيما يتعلق بخطط الغرب الاوروبي تجاه بيزنطة ، لأن الملك لويس نجح في اجبارهم علي تأجيل غزو القسطنطينية ، وكسب باليولوجوس مزيدا من الوقت ليتدبر أموره ويكسب المزيد من الحلفاء للوقوف في وجه تدابيرهم الخاصة بغزو عاصمته وتجريده من امبراطوريته .

(1) Geanakoplos : Op. cit , P. 224 .
Nicol : The Greeks and the union of the Churches , P. 460 .
(2) Geanakoplos : Op. cit , P. 225 .
(3) Ostrogorsky : The Paleaologi , P. 335 .
Vasiliev : Op. cit , vol II , P. 593 .

علي أنَّ ثمة ظروف استجدت علي مسرح الأحداث السياسية ، وأدت إلي تغيير مسار الحملة الصليبية الجديدة واتجاهها إلي تونس [1] بدلا من توجيهها إلي الأراضي المقدسة في فلسطين . وبعد ابحار لويس وحملته إلي قرطاجه ، وصلته هناك سفارة جديدة من باليولوجوس صاحبت سفارة لويس عند عودتها من القسطنطينية ، وحملها باليولوجوس هدايا قيمة فريدة ، كان من بينها مخطوطاً للعهد الجديد مزينا برسوم صغيرة ، وكان علي رأس هذه السفارة اليونانية ، يوحنا بيقّوس John Bekkos ، الذي كان يشغل منصبا دينيا هاما في كنيسة أيا صوفيا ثم صار بطريركا لها (١٢٧٥ - ١٢٨٢ م.) ، وقسطنطين ميليتنيوتس Constantine Meliteniotes ، وهو رئيس أساقفة كنيسة القصر الامبراطوري ، وحينما وصلت هذه السفارة إلي صقلية علمت برحيل لويس إلي تونس ، فاستقلت سفينة أوصلتها إلي قرطاجة ، وكان ذلك في ٣ أغسطس ١٢٧٠ م.، وقابلوا الملك لويس ، وقدموا اليه رسالة باليولوجوس ، لكن الملك الفرنسي كان مريضا ، كما كان مشغولا بقتال المسلمين هناك ، ولم يلبث أن توفي في ٢٤ أغسطس ١٢٧٠ م. ، وبموته ضاعت أحلام ميخائيل باليولوجوس في السلام مع قوي الغرب الاوروبي المتحالفة ضده ، خاصة بعد ان عادت سفارته إليه دون أن تحقق أهدافها أو تحصل علي أية وعود مطمئنة علي حد تعبير المؤرخ البيزنطي المعاصر

(١) عن كل ما يتعلق بحملة لويس التاسع علي تونس راجع :

مصطفي الكناني : حملة لويس التاسع الصليبية علي تونس ، ١٢٧٠ م / ٦٦٨ ٦٦٩ هـ ، الاسكندرية ١٩٨٥ .

سامية عامر : حملة لويس التاسع الصليبية علي تونس ، رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الآداب جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٥ .

باكيميريس (١) .

ولم تلبث البندقية ان غيرت سياستها وانضمت إلي قوي الغرب المتحالفة ضد بيزنطة ، وكما سبق ان ذكرنا كانت البندقية قد عقدت مع باليولوجوس اتفاقية ابريل ١٢٦٨ ،وكانت شروطها مجحفة بالنسبة لها ، وبعد أكثر من عقد من الزمن رأت البندقية أنها عقدت اتفاقيات غير مرضية مع باليولوجوس ، فأدركت البندقية ان مصالحها قد أضيرت إذ توقفت تجارتها في الامبراطورية البيزنطية ، وأسئ معاملة تجارها ، وحرموا من امتيازاتهم التقليدية السابقة ، كما تعرضت سفنهم للنهب من جانب القراصنة اليونان ، ورغم مطالبة دوج البندقية بالتعويضات عن تلك الخسائر ، الا ان باليولوجوس لم يحرك ساكنا في هذا الشأن . بل أكثر من ذلك بدأ يجرد البنادقة من الجزر التي يملكونها في البحر الايجي ، في الوقت الذي تمتعت فيه جنوة بامتيازات في أراضي الامبراطورية البيزنطية وازدهرت تجارتها ازدهارا كبيرا . لهذه الأسباب كلها أصبحت البندقية أكثر استعداداً للتغاضي عن الخلافات القديمة والانضمام إلي قوي الغرب المتحالفة ضد بيزنطة من أجل القيام بحملة مشتركة ضد باليولوجوس انتقاما لما حاق بها من خسائر علي يديه .

رحبت هذه القوي بانضمام البندقية اليهم ، وقامت قوات مشتركة بعمليات عسكرية بحرية في مياه الامبراطورية البيزنطية Romania كان الغرض الأساسي منها حماية جزيرة ايوبيا ، أحدي جزر البحر الايجي ، من القراصنة اليونان ، لكن لم تحقق هذه العمليات العسكرية المشتركة إلا نتائج قليلة الأثر . وقد أوضح المؤرخ الايطالي سانيودو Sanudo السبب في ذلك فقال ان القوات البحرية المشتركة

(1) Pachymeres : De Michal Paleaologo , Liber I , P. 364 .

Nicol : The Greeks and the union of the Churches , P. 461 , P. 467 , PP. 471 - 474 .

ارسلت ثلاث مرات للقيام بعمليات هجومية في مياه الامبراطورية البيزنطية ، لكن الكراهية المتبادلة بين الطرفين وعدم الثقة ، أديا إلي اشتعال القتال بينهما بدلا من قتال البيزنطيين الذين استغلوا هذه المعارك لصالحهم ، وتمكنوا من التقدم وتخريب عاصمة الجزيرة (١) .

وردا علي هذا التحالف بين القوي المعادية لباليولوجوس ، عقد هذا اتفاقية جديدة مع جنوة ، إذ كانت العلاقات بين الطرفين طيبة ، وسبق الاشارة إلي اتفاقية عام ١٢٦٧ بينهما ، التي استردت فيها جنوة مستعمراتها من هيرقليا إلي جالاتا ، وأرسلت جنوه إلي القسطنطينية مبعوثا هو لانفراكو Lanfranco ، وخولت له كل السلطات لعقد اتفاق مع الامبراطور ، وفي نفس العام (١٢٧٢) تم عقد اتفاقية بين الطرفين كانت في جوهرها تحالفاً للدفاع والهجوم المشترك وتضمنت النصوص التالية:

(١) تتعهد جنوة بعدم عقد تحالف مع أعداء باليولوجوس ، وان عصي أي جنوي هذا الأمر وتعامل مع العدو سواء بقول أو فعل أو مشورة ، تعرض لمعاقبة نائب حاكم جنوة Podestà في جالاتا . واذا حدث ولم يعتقل هذا الشخص فانه سوف يعتبر متآمرا علي قومون جنوة ذاته .

(٢) تكون حكومة جنوة مسئولة عن الخسائر التي يتسبب فيها القراصنة من رعاياها .

(٣) بناء علي طلب باليولوجوس ، توافق جنوة علي تعيين نائب لحاكمها Podestà في جالاتا ، بشرط ان يكون شخصا ينال رضاء الامبراطور ، كما ينال رضاء القومون .

(1) Sanudo : I Storia , PP. 129 - 130 .

(٤) يتم تحذير التجار الجنويين من إعلان ملكيتهم لبضائع لاتين من أجل ان يستفيد هؤلاء اللاتين من الاعفاءات الجمركية التي يتمتع بها تجار جنوه، واذا ثبتت التهمة علي شخص ما فان نائب الحاكم سوف يعاقبه ، وتتم مصادرة بضاعته لصالح الامبراطور .

(٥) للحفاظ علي سرية تحركات الاسطول اليوناني ، فانه يسمح للامبراطور ، ان يوقف سفن جنوه في الميناء حتي يتم إبحار اسطوله .

(٦) سينزل العقاب الشديد باي جنوي يقدم مساعدته لاعداء الامبراطور .

(٧) تأكيد حق باليولوجوس في تجنيد سفن جنوه التجارية الموجودة في ثغوره البحرية خلال فترة الحرب ، ويدفع باليولوجوس أجراً مقابل استخدامه لهذه السفن ، واذا طلبت جنوه اجرا باهظا يعرَض الأمر علي لجنة تحكيم [1] .

وقد وثقت هذه المعاهدة العلاقات البيزنطية الجنوية ، وأصبح واضحا انحياز جنوه إلي جانب الامبراطور باليولوجوس ضد أعدائه المتربصين به في الغرب الاوروبي .

وفي نطاق السياسة البارعة لميخائيل باليولوجوس في مواجهة هذه القوي الغربية وسياستها الرامية إلي احكام الحصار حوله تمهيدا للانفراد به والقضاء عليه، لجأ باليولوجوس إلي البابا الجديد الذي تم انتخابه بعد ثلاث سنوات من خلو كرسي

(١) راجع نصوص هذه الاتفاقية في المصدر التالي :

Bertolotto G. : Nuova Serie di documenti Sulle relazioni di Genova col imperio bizantino in Atti della Sociéta ligure di Storia , Patria XXVIII , 1898 , PP. 505 - 509 .

البابوية ، وهو تيبالدو فيسكونتي Tebaldo Visconti ، من مواليد بياكنزا في شمال ايطاليا ، وتولي كرسي البابوية تحت اسم البابا جريجوري العاشر Gregory X (١٢٧١ - ١٢٧٦) (١) .

وقد أرسل الامبراطور ميخائيل باليولوجوس إلي البابا جريجوري مبديا رغبته في اتحاد الكنيستين ، وكان لدي البابا نفس الرغبة ، من أجل اقرار السلام والاتحاد بين الكنيستين وهو حلم البابوية الدائم ، ولاستغلال موارد الامبراطور البيزنطي وامكاناته العسكرية في تحرير بيت المقدس من يد المسلمين . من أجل ذلك كله أخذ البابا جريجوري في الضغط علي القوي المتحالفة ضد بيزنطة لتأجيل حملتهم ضدها ، وانتهز الامبراطور ميخائيل فرصة عقد المجمع الديني في مدينة ليون الفرنسية في ١٢٧٤ م. وأرسل رسلا لحضور المجمع ، وكان من بين هؤلاء الرسل شخصيتان دينيتان عظيمتان هما بطريرك القسطنطينية السابق جرمانوس Germanos ، ومطران نيقية ثيوفانيس Theophanes ، وبصحبتهم ثلاث شخصيات من أصحاب المناصب الامبراطورية هم اللوجوثيت الاعظم جورج اكروبوليتيس George Acropolites المؤرخ المعروف ، ونيقولا باناريتيس Nicholas Panaretes ، وجورج برهيوتيس George Berrhiotes ،وحمّلهم الامبراطور الهدايا القيمة للبابا ، من الايقونات الذهبية ، والملابس النفيسة المنسوجة بخيوط الذهب والمطرزة بحبات اللؤلؤ ، والمباخر المزخرفة ، وأخذت كل هذه الهدايا من كنيسة آيا صوفيا (٢) Hagia Sophia ، وقد سمح البابا جريجوري العاشر

(1) Nicol : The Greeks and the union of the Churches , ch. V , P. 461 .

(٢) عن الرسل والهدايا التي قدموها للبابا جريجوري العاشر ، راجع :
Pachymeres : Op. cit , I , P. 384 , II , P. 10 ff .

للرسل البيزنطيين بالظهور في المجمع الديني [١] في ٢٤ يونيو ١٢٧٤ م. ، وفي يوليو ١٢٧٤ م. تم إعلان الاتحاد بين كنيستي روما والقسطنطينية [٢] . والجدير بالذكر انه رغم ان الامبراطور ميخائيل باليولوجوس أخذ يؤكد علي أن الكنيسة الارثوذكسية في القسطنطينية ، والشعب البيزنطي ، يؤيدون الاتحاد مع كنيسة روما، او بمعني أصبح الخضوع لكنيسة روما ، إلا ان الواقع كان يوحي بغير ذلك ، فلم تكن الكنيسة أو الشعب راضين عن هذا الاتحاد ، ولكن ميخائيل اضطر للعمل من أجل الاتحاد لخدمة هدفه السياسي وهو انقاذ عاصمته وامبراطوريته من خطر القوي الغربية المتحالفة والمعادية له ، وذكر المؤرخ المعاصر باكيميرس ان الامبراطور كان يوجه تهمة الخيانة ضد أي شخص يرفض تأييد الاتحاد مع كنيسة روما [٣] .

قضي الرسل البيزنطيون صيف عام ١٢٧٤ م. في صحبة البابا في مقره في فيتربو ، وفي واخر فصل الخريف عاد الرسل إلي بيزنطة وهم يحملون رسائل

(١) لقد جرت محادثات بين البابا والرسل البيزنطيين حول أوجه الخلاف بين الكنيستين ، عن ذلك راجع :

Nicol : The Greeks and the union of the Churches , ch. V , PP. 461 - 478 .

(2) Nicol : Op. cit , P. 479 .

(3) Pachymeres : I , P. 395 .

وهناك بحث علي جانب كبير من الأهمية قام به المورخ دونالد نيقول عن رد الفعل لدي الكنيسة والشعب البيزنطي فيما يتعلق بالاتحاد بين الكنيستين الذي تم في مجمع ليون عام ١٢٧٤ م. راجع:

Nicol : The Byzantine Reaction to the Second Council of Lyons , 1274 . in his Book : Byzantiun : its ecclesiastical history and relations with the western world , London , 1972 , ch. VI , PP. 113 - 146 .

راجع أيضا :

Geanakoplos : Michael Paleaologus and the west , PP. 264 - 273 .

جديدة من البابا جريجورس إلي (ابنة الامبراطور) وإلي رجال الدين البيزنطيين ، كما أرسل البابا كاردينالا من طرفه من أجل التشاور مع الامبراطور بخصوص اجتماع يعقد بين جريجوري العاشر وميخائيل باليولوجوس ، وتقرر لقاؤهما في يوم عيد الفصح عام ١٢٧٦ م. في برنديزي أو فالونا في ايطاليا ، لكن البابا جريجوري العاشر ما لبث أن توفي فجأة يوم ٦ يناير ١٢٧٦ م. وانتهي هذا المشروع إلي لا شيء (١) .

وعندما اعتلي كرسي البابوية البابا نيقولا الثالث (٢) في ٢٥ نوفمبر

(1) Pachymeres : Op. cit , PP. 392 - 398 .

Hefelé - Leclercq : Histoire des Conciles , Paris , P. 168 .

Geanakoplos : Michael Paleaologus , PP. 258 - 264 .

Nicol : The Greeks and the union of the Churches , P. 479 .

Vasiliev : Op. cit , vol II , P. 596 .

والجدير بالذكر انه بعد وفاة البابا جريجوري العاشر تولي منصب البابوية بابا جديد برتغالي الأصل هو يوحنا بطرس جوليانو Jhon Peter Juliano الذي اتخذ اسم البابا يوحنا الحادي والعشرين John XXI وتولي في الفترة من ٢٠ سبتمبر ١٢٧٦ وحتي وفاته في ٢٠ مايو ١٢٧٧ م. ، أي أقل من عام واحد ، راجع :

Villani : Cronica , vol II , PP. 224 - 225 .

Malaspina : Histria Sicula , PP. 871 - 872 .

Previté - Orton : Italy , P. 194 .

(٢) الاسم الحقيقي للبابا نيقولا هو جيوفاني جياتانو اوريسيني Giovanni Gaetano Orisini ، وهو من عائلة اوريسيني الرومانية الشهيرة ، وقد ظل كرسي البابوية شاغرا بعد وفاة البابا السابق يوحنا الحادي والعشرين ، لمدة ستة شهور حتي تم انتخاب البابا نيقولا . راجع :

Previté - Orton : Italy , P. 194 .

١٢٧٧ م. أظهر روح الاعتدال ، وأخذ في الضغط علي قوي الغرب المتحالفة لتأجيل حملتهم ضد القسطنطينية ، وحث الطرفين الغربي والبيزنطي علي فتح باب المفاوضات بينهما من أجل اتاحة مزيد من الوقت Temporalia للتفكير ، واقرار السلام بينهما . وأخذ البابا نيقولا في تبادل الرسائل مع الامبراطور البيزنطي ، وكانت لهجته تتسم بالود ، فكتب اليه في أحد رسائله يقول : " ابننا في حب المسيح، العزيز جدا ميخائيل باليولوجوس ، امبراطور اليونان اللامع " (١) .

ولما كان البابا نيقولا يدرك تماما ان شارل دانجو هو الذي يقود ويتزعم -قوي الغرب الاوروبي الطامعة في بيزنطة ، فقد أرسل رسالة إلي باليولوجوس مع بعض الاساقفة في عام ١٢٨٠ م. وأفصح فيها عن رغبته في عقد سلام يوناني – أنجوي Greco - Angevin Peace لكن اقتراح البابا هذا لم يصادف قبولا لدي الطرفين ، فلم يرد باليولوجوس علي اقتراح البابا ، والارجح ان ذلك يرجع لعدم ثقته في شارل وفي امكانية تخليه عن أطماعه في القسطنطينية ، اما شارل فقد رفض ذلك تماما بحجة ان الامبراطور البيزنطي سوف يستغل هذا السلام ويشن حربا ضد الفرنجة في شبه جزيرة المورة ليسترجع نفوذه هناك ، كما انه لم يكن علي استعداد لان يدفع ثمن هذا السلام (القسطنطينية الانجوية) Angevin Constantinaple (٢) .

ولم يمتد العمر بالبابا نيقولا ، اذ اصيب بنوبة قلبية مفاجئة في قصره في سوريانو Soriano بالقرب من فيتربو ، قضت عليه ، وكان ذلك في ٢٢ أغسطس ١٢٨٠ م. ، وبموته فقد باليولوجوس الأمان الذي كان يشعر به أثناء حياة هذا البابا،

(1) Geanakoplos : Michael Paleaologus and the west , PP. 312 - 313 .

(2) Geanakoplos : Michael Palcaologus and the west , P. 322 .

خصوصا بعد ان تغير الموقف تماما بانتخاب بابا جديد هو سيمون دي بري Simon de Brie الفرنسي ، والصديق الحميم لشارل دانجو ، وكان سيمون قد تلقي دراسته في جامعة باريس ، ثم أصبح أحد مؤسسيها ، وبعد ان انهي دراسته في الجامعة ، عينه الملك لويس التاسع في ١٢٦٠ م. ، المستشار الأول لفرنسا ، وأحد أعضاء المجلس الملكي ، وفي عام ١٢٦١ م. تم تعيينه كاردينالا ، وفي فبراير ١٢٨١ م. ، اعتلي كرسي البابوية تحت اسم البابا مارتن الرابع Martin IV (١) .

وفي عهده ساءت الأمور تماما بين قوي الغرب المتحالفة وميخائيل باليولوجوس ، وقد شجع البابا قوي الغرب هذه علي غزو القسطنطينية ، واعتبر الحملة ضدها حملة صليبية ضد المنشقين ، ومغتصب العرش باليولوجوس ، وتحت رعايته تم عقد اتفاقية جديدة بين الامبراطور اللاتيني الاسمي فيليب اوف كورتناي ، بعد ان توفي والده بلدوين الثاني في ١٢٧٣ م. ، والبندقية ، وشارل دانجو . وقد وقعت هذه الاتفاقية في ٣ يوليو ١٢٨١ م. في مدينة اورفييتو Orvieto حيث كان مقر البابا مارتن الرابع ، وجاء في ديباجة هذه الاتفاقية ، ان الحملة التي ستوجه ضد القسطنطينية هي :

" من أجل تمجيد المذهب العالمي ، وإعادة توحيد قوي البابوية ، التي عانت من التشوهات العديدة في جسد ووحدة الكنيسة بعد فقد امبراطورية رومانيا ، وكذلك من أجل استعادة امبراطورية رومانيا التي استولي عليها باليولوجوس والمحتلين الآخرين وامتلكوها " .

---

(1) Previté - Orton : Italy , P. 197 .
The illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization , P. 508 .

اما شروط الاتفاقية فكانت كالتالي :

(١) ان هذا التحالف موجه مباشرة ضد كل القوي المعادية للامبراطور فيليب والملك شارل ، والبندقية .

(٢) كل الاتفاقيات والحقوق والامتيازات التي كانت في الماضي للاطراف المعنية ، يعترف بها كحق شرعي ، وخاصة مركز البنادقة السابق في مياه القرن الذهبي .

(٣) يشترك دوج البندقية ، وفيليب ، وشارل أو ابنه الأكبر (ويسمي شارل الاعرج) ، بشخصهم في الحملة ضد رومانيا .

(٤) يتعهد كل من شارل ، وفيليب ، باعداد حوالي ثمانية آلاف فارس باسلحتهم . اما الدوج فإنه يتعهد باعداد أربعين غالية حربية أو أكثر من أجل الاشراف علي البحر ومراقبته بينما يؤمن كل من شارل وفيليب وسيلة نقل الرجال والخيل والمؤن .

(٥) تحدد تاريخ العبور Passagium إلي القسطنطينية بحيث لا يتأخر عن شهر أبريل ١٢٨٣ م. (١) .

وفي نفس اليوم الذي جري فيه توقيع هذه المعاهدة ، وقع المتحالفون معاهدة

---

(١) بخصوص نصوص هذه المعاهدة راجع :

T - Th. : Op. cit , vol III , P. 290 .

وتوجد نبذة عامة عنها في المرجعين التالين :

Miller : The Latins in the levant , P. 173 .

Ostrogorsky : The Paleaologi , P. 339 .

الامبراطور لم يلغ رسميا الاتحاد بين الكنيستين الذي تم في مجمع ليون ١٢٧٤ م. ، لكنه عبر عن غضبه واستيائه فعمد إلي عدم ذكر اسم مارتن (الكريه) أثناء تلاوة الصلوات العامة أو الطقوس الدينية . كما انه عمل جاهدا علي اصلاح ذات البين بينه وبين الكنيسة اليونانية التي كانت مساندتها له ضرورية أثناء صراعه الضاري ضد الغرب الاوروبي (١) .

وواجهت السياسة البارعة للمتحالفين الغربيين السياسة التي لا تقل عنها براعة لميخائيل باليولوجوس ، إذ لم يقف عاجزا أمام هذا التحالف الذي تم في اورفيتو بين فيليب اوف كورتناي ، والبندقية ، وشارل دانجو ، بمباركة البابا مارتن الذي وقع قرارات الحرمان علي الامبراطور البيزنطي قرارا تلو الآخر ، بل بدأ ميخائيل كما هي عادته في البحث عن حلفاء آخرين يقف بهم في وجه هذا الخطر المتربص به وبامبراطوريته . ولكن بعد التحالف الذي تم في اورفييتو ، من بقي من ملوك الغرب يمكن ان يتحالف معه باليولوجوس ؟ ففرنسا كانت تحت حكم الملك فيليب الثالث (١٢٧٠ - ١٢٨٥ م.) ، وهو ابن شقيق شارل دانجو نفسه ، وكان متعاطفا مع عمه ، ومساندا له ، وألمانيا كان يحكمها الامبراطور رادولف الأول هابسبرج Rudolph I of Hapsburg (١٢٧٣ - ١٢٩١ م.) وكان يبدو بمعزل عن الأحداث الجارية خارج بلاده (٢) ، وكان الملك ادوارد الأول يحكم انجلترا (١٢٧٢ - ١٣٠٧م.) ، وقد شغل بمشاكله الداخلية مع البارونات ، وكذلك شغل بتوسعاته في الجنوب حيث فرض السيادة علي مقاطعة ويلز ، كما إفتتح سلسلة الحروب في

(1) Pachymeres : Micheal Paleaolog , PP. 506 - 507 .

(٢) عن عصره وحكمه لالمانيا راجع :

Barraclough G. : The Origins of Modern Germany , London , 1951 .

الشمال ضد سكوتلندة (١) . وبيزا رغم قوة اسطولها إلا أنها كانت في حالة عداء مع جنوة ، ولا يمكن ان تساعد التحالف اليوناني - الجنوي .

ولم يطل البحث عن حليف يجد فيه ميخائيل باليولوجوس ضالته المنشودة ، فقد كان الحليف موجوداً وأسباب عدائه لشارل دانجو واضحة ومعروفة ، وكان هذا الحليف هو بطرس الثالث ملك أرغونة (١٢٧٦ - ١٢٨٥ م.) ، الذي كان يعمل جاهداً علي الاطاحة بحكم شارل دانجو في صقلية بعد ان اغتصب ملك صهره مانفريد هوهنستاوفن ، وحرم زوجة بطرس الثالث وهي كونستانس هوهنستاوفن من حقها الشرعي في مُلك والدها في صقلية (٢) .

وقد وصلت أخبار اهتمام بطرس وجهوده هذه لميخائيل باليولوجوس ، عن طريق اللاجئين من حزب الجبلين الايطالي الذين فروا اليه هربا من طغيان شارل ، كذلك عن طريق التجار الذين يطلق عليهم اسم القطالان Catalan (٣) الذين سافروا

(١) بخصوص عصر الملك ادوارد الأول ومشاكله مع البارونات وحروبه التوسعية راجع :

Harvey J. : The Plantagenets , Six teenth impression , London , 1979 , PP. 107 - 123 .

(2) Malaspina S. : Rerum Sicularum Historia , ed. , Del Re , P. 320 ff .

(٣) كان هؤلاء القطالان في البداية مجموعة من التجار المغامرين الذين كانوا يمارسون النشاط التجاري ما بين برشلونة وصقلية والأقاليم الايطالية ، وكانوا يستأجرون مقاتلين مرتزقة لكي يقوموا بحماية بضائعهم من غارات القراصنة ، وقد وسعوا نطاق تجارتهم فشملت بلاد الشرق وخاصة الامبراطورية البيزنطية . وعند نهاية القرن الثالث عشر الميلادي غيروا من طبيعة عملهم التجاري وأصبحوا مقاتلين من المشاه يحملون الأسلحة البيضاء واطلق عليهم اسم Almugavares ، وحازوا شهرة عظيمة بفضل كفاءتهم القتالية ، وأصبح حكام البلاد المختلفة يستعينون بهم في حروبهم ، وقد استعان بهم ملك ارغونة بطرس الثالث في حروبه ، وللمزيد عنهم راجع :

Setton K. : Catalan Domination of Athens , 1948 .

باعداد متزايدة إلي القسطنطينية (١) .

وان كان تاريخ المفاوضات السرية التي بدأت بين بطرس وميخائيل ليس واضحاً في المصادر ، إلا أن الكاتب المعاصر بتولمي اوف لوقا ذكر في حولياته ان المعاهدة اليونانية الارغونية ، عقدت بعد توقيع البابا مارتن الرابع قرار الحرمان علي باليولوجوس ، وان المعاهدة عقدت بهدف واضح هو : (انتزاع صقلية من الملك شارل) (٢) .

وهناك وثيقة صادرة عن بطرس الثالث نفسه أشارت إلي التحالف الذي قام بينه وبين باليولوجوس ، وهذه الوثيقة علي جانب كبير من الأهمية فيما يتعلق بهذا الموضوع ، وهي عبارة عن رسالة ارسلها بطرس الثالث إلي قومون بيزا يطلب مساعدتها ضد شارل دانجو ، وارسلت هذه الرسالة في يناير ١٢٨٢ م. ونشرها العالم كيرن Kern باللغة اللاتينية في عام ١٩١١ م. ، وجاء في هذه الرسالة ما يلي (٣) :

(1) Marinesco C. : Notes sur les Catalans dans l'empire Byzantine , Paris , 1925, P. 501 ff .

(٢) قال بتولمي في هذا الصدد :

" inter Palaeologum , et Regem Aragonum qui Vacabatur Petrus .... de auferendo Regnum Regi Carlo , Quam tractatum ego Vidi . "

والجدير بالذكر ان كلمة Regnum وهي بمعني (المملكة) المقصود بها صقلية راجع :

Ptolemy of Lucca : Historia ecclesiatica , vol XI , 1727 , Cols 1186 - 1187 .

راجع أيضا :

Geanakoplos : Michael Paleaologus , P. 431 .

(3) Kerm F. : Acta Imperii Angliae et Franciae , 1267 - 1313 , Tubingen , 1911 , P. 28 .

" .... تعلمون بالطبع ، ان شارل الشرير العاق ، اعتزم مهاجمة امبراطور القسطنطينية ، الذي يرتبط معي بميثاق جديد وبصداقة nove amicitie linea nobis unitum ، لقد عزمت من كل قلبي علي مقاومة هذه الجرأة الوقحة لهذا الملك بالحسم الرادع ، وبكل ما أملك من قوة ، لاني اعتزم دخول مملكة صقلية ، وهناك سوف اثبت نفسي بقوة رجالي الكبيرة ، ولذلك فبينما يصدق هذا الملك خيالاته وأوهامه الخاصة بفتح بلاد اليونان ، فان الصقليين سوف يجدون أنفسهم خاضعين لي بصفة نهائية " .

وأوضح المؤرخ الايطالي المعاصر سانيودو أن :

" الامبراطور وعد ان يعطي ملك أرغونة كل سنة ٦٠ ألف ليرة حتي نهاية الحرب " (١) .

وفي ربيع عام ١٢٨٢ م. أصبح أمر استعداد قوي الغرب الاوروبي المتحالفة للهجوم علي القسطنطينية لا يخفي علي أحد ، فقد أخذوا في جمع أساطيلهم في موانئ ايطاليا ، ووضعت هذه الاساطيل في حالة تأهب للانطلاق نحو القسطنطينية حينما تصدر اليها الأوامر ، كما كان اسطول البنادقة ايضا في حالة استعداد

(١) النص الايطالي هو :

" il detto imperatore avea promesso dar al Rè d'Aragona ogna' anno 60 mila lippri insino a guerra finita " .

راجع :

Sanudo : I Storia , P. 133 .

وقد ذكر المؤرخ ميلّر أن مبلغ ٦٠ ألف ليرة يساوي ٢٦٨٨٠ جنيها استرلينيا ، هذا مع مراعاة سعر الجنيه الاسترليني في عام ١٩٠٨ م. وهو تاريخ نشر كتاب ميلّر . راجع :

Miller : The Latins in the Levant , P. 174 .

للمشاركة في هذه الحملة ، وكان الملك شارل في نابلي يشرف بنفسه علي الاستعدادات النهائية للحملة ضد القسطنطينية ، كما كان امراء السلاف في البلقان وحكام إبيروس وتساليا يتابعون استعدادات قوي التحالف هذه بحماس ورغبة في الاشتراك في تدمير الامبراطورية البيزنطية ، حتي لقد أوشك الامبراطور ميخائيل باليولوجوس علي الاستسلام لليأس ، وكان واضحا انه اذا تحركت اساطيل قوي الغرب الاوروبي المتحالفة ضد بيزنطة من موانيها واقتربت من الشواطئ البيزنطية ، فان العناية الالهية وحدها هي القادرة علي انقاذ الامبراطورية البيزنطية من هذه الكارثة .

وقد بدا واضحا انه لا شئ سوف يثنيهم عن تنفيذ هجومهم علي القسطنطينية ، فالملك لويس الذي سبق ان أرغمهم علي تأجيل حملتهم هذه ، والاشتراك معه في حملته الصليبية ضد تونس قد توفي ، وكذلك البابا كليمنت الرابع ومن بعده البابا جريجوري العاشر ، وهما اللذان عرقلا هذه الحملة بسبب مفاوضاتهما مع باليولوجوس من أجل اتحاد الكنيستين ، والبابا مارتن الرابع الذي يجلس علي كرسي البابوية في ذلك الوقت كان منحازا تماما لقوي التحالف ومتخذا جانبهم ضد باليولوجوس ، بل أكثر من ذلك لقد اعتبر حملتهم ضده حملة صليبية ، فماذا بقي بعد ذلك ليحول دون تنفيذ هجومهم علي القسطنطينية ؟

تقرر ان يبحر اسطول المتحالفين ضد بيزنطة ، في الاسبوع الأول من أبريل ١٢٨٢ م. ، (١) . وكان لابد لميخائيل باليولوجوس وبطرس ملك أرغونة ان يفعلا شيئا قبل هذا التاريخ فلابد ان يتحرك بطرس باسطوله لمهاجمة جزيرة صقلية حتي يعيق شارل والمتحالفين معه عن تنفيذ هجومهم ضد القسطنطينية . لكن وقبل ان يتحرك

(1) Runciman : The Sicilian Vespers , P. 213 .

بطرس جاءت الأنباء بحدوث ثورة (صلاة المساء الصقلية) The Sicilian Vespers في ٢٩ مارس ١٢٨٢ م. أي قبل الموعد المحدد لابحار اسطول قوي الغربي الاوروبي المتحالفة ضد بيزنطة باسبوع واحد . وكأن الأقدار تدخلت في الوقت المناسب تماما لتنقذ ميخائيل باليولوجوس وامبراطوريته من التدمير علي يد هذه القوي المعادية لبيزنطة .

وهذه الثورة اطاحت بحكم شارل دانجو في صقلية ، وشغل بها وبمحاولات استعادة صقلية من جديد حتي وفاته في ٧ يناير ١٢٨٥ م. دون ان ينجح في تحقيق هدفه ، وهكذا قضي علي آمال واحلام هؤلاء المتحالفين ضد بيزنطة ، وإلي الأبد ، في غزو وفتح العاصمة البيزنطية ، وضاعت جهودهم هباء ، اما معاهدة فيتربو في ٢٧ مايو ١٢٦٧ م. ، التي قسمت الغنيمة البيزنطية علي أطراف المعاهدة ، ومن بعدها معاهدة اورفييتو ٣ يوليو ١٢٨١ م. ، التي نظمت خطة الهجوم علي القسطنطينية فقد أصبحتا (حبرا علي ورق) ، ومجرد صفحات تقرأ في كتب التاريخ تُذكر الأجيال المتعاقبة بهذه الأخطار التي تعرضت لها الامبراطورية البيزنطية من جانب قوي الغرب الاوروبي التي تحالفت ضدها ، ولم يتحقق عمليا اي بند من بنودهما ، وذلك يرجع وفي المقام الأول لمهارة وبراعة ميخائيل باليولوجوس في السياسة والدبلوماسية وتفوقه علي منافسيه في هذا المجال ، ولا غرو فمعروف عن البيزنطيين أنهم أصحاب باع طويل في هذا المجال (١) . وقد تجلت عبقرية باليولوجوس السياسية في اختياره السليم للقادرين بالفعل علي كبح جماح قوي

---

(١) عن الدبلوماسية البيزنطية راجع :

Runciman S. : The Byzantine civilization cambridge , 1975 , PP. 155 - 162 .

Ensslin w. : The Government and Administration of The Byzantine Empire , in C. Med. H. ed. Hussey , Cambridge 1967 , vol , IV , Part II , P. 53 ff .

الغرب الاوروبي المتحالفة ضده ، والوقوف في وجه خططهم الرامية إلي فتح القسطنطينية ، فتغاضى عن كل الخلافات المذهبية السابقة ومد يده للبابوية معلنا خضوعه التام للبابا فيما يتعلق باتحاد الكنيستين الذي كان حلم البابوية منذ حدث الانقسام بينهما في عام ١٠٥٤ م. ومد يده أيضا للملك لويس التاسع ملك فرنسا واتخذه حكما يحكم بما يراه بشأن اتحاد الكنيستين ، وحل المشاكل الخاصة بغزو القسطنطينية . وحينما حدث الإتحاد بين الكنيستين في مجمع ليون ١٢٧٤ م. ، تحمل باليولوجوس غضب الكنيسة اليونانية الارثوذكسية والشعب البيزنطي مضحيا من أجل هدف سياسي هو حماية عاصمته من هذا الخطر الجسيم الذي تتعرض له . وكانت الضربة القاضية التي يسميها الفرنسيون Coup de Graçe ، هي إلتجاء باليولوجوس إلي بطرس الثالث ملك أرغونة والتحالف معه ضد هذه القوي ، فنجح هذا التحالف نجاحا تاما ، وحقق الهدف منه ، وقد أدي ذلك إلي تقوية العلاقات الودية بين الاباطرة البيزنطيين وملوك أرغونة .

أما البندقية التي سبق ان تحالفت مع هذه القوي المعادية لبيزنطة وكانت واحدة من هذه القوي المتربصة بها ، فقد سارعت علي الفور بتغيير سياستها بعد أن أدركت ان هذه القوي قد انتهي امرها ولم تعد ذات فائدة لها ، فتنصلت من اتفاقها معهم ، وبذلت جهدها من أجل توطيد علاقاتها ببيزنطة وبعد وفاة ميخائيل باليولوجوس في ١٢٨٢ م. بثلاث سنوات ، وقعت معاهدة صداقة وتحالف مع إبنه وخليفته اندرونيقوس الثاني باليولوجوس (١٢٨٢ – ١٣٢٨ م.) ، بل وارتبطت بعلاقات الود والصداقة مع بطرس الثالث ملك أرغونة (١) .

(١) عن علاقات الصداقة بين البندقية وكل من بيزنطة وأرغونة راجع :

Vasiliev : History of the Byzantine Empire , Vol II , P. 599 .

وهكذا تمكنت بيزنطة من التغلب علي هذا الخطر الذي هددها لسنوات طويلة ، منذ سقوط الامبراطورية اللاتينية في القسطنطينية في ١٢٦١ م. وحتي نجاحها في القضاء علي خطر هذه القوي الغربية المتحالفة ضدها في ١٢٨٢ م.

المصادر والمراجع

- Alexander P. : A chrysobull of the Emperor Andronicus II Palaeologus in favor of the see of Kanina in Albania. in (Byzantion) , tome XV, 1940 - 1941 .

- Barrachough G. : The Medieval Papacy , London , 1975 .

" : The Origins of Modern Germany , 1951.

- Bertolotto G. : ' Nouva Serie di documenti Sulle relazioni di Genova col imperio¯bizantino ' , Atti della Societa ligure di Storia , Patria , XXVIII , 1898 .

- Bóehmer J. : Regesta Imperii , ed. Ficker and winkelmann , innsbruck , 1881 - 1901 .

- Brehier L. : Vie et mort de Byzance , ed. , Ablin Michel , Paris , 1969 .

- Buchon (y.) : Recherches historiques sur la princiauté française de Morée , et ces hautes baronnies , I , Paris , 1845 .

- Carabellese : Carlo D'Angio nei rapporti Politici e commerciali Venezia e l'oriente , Bari , 1911 .

- Choniates (N.) : Historia , in C. S. H. B. ed. Bonn , 1835 .

- Du Cange : Histoire de l'empire de Constantinaple sous les empereurs français , ed. Buchon , Paris , 1826 .

- Fliche and Martin : Histoire de l'eglise , vol X , Paris , 1950 .

- Geanakoplos D. : Emperor Michael Paleooalogus and the west 1285-1282 , Harvard University Press , 1959 .

- Gibbon E. : The Decline and Fall of the Roman Empire , vol 6 , New York , 1976 .

- Hefelé - Leclercq : Histoire des Conciles , Paris , 1914 .

- The illustrated Encyclopedia of Medieval Civilization , U. S. A. 1980 .

- Jordan E. : Les registres de Clement IV , Paris , 1893 .

: L'Allemagne et l'Italie aux XII e et XIII e Siécles , dans Glotz : Histoire Générale , Histoire du Moyen Ages , vol IV , Paris , 1909 .

: Les Origines de la Domination Angevine en Italy , Paris , 1909 .

- Kern F. : Acta Imperii et Franciae 1267 - 1313 , Tubinger , 1911 .

- Laurent : Deux nouveaux manuscrits de ' L'Histoire De G , Bruxelles , 1931 .

- Leonard E. : Les Angevins de Naples , Paris , 1954 .

- Lexicon universal Encyclopedia , Lexicon Publication , New York, 1983 .

- Longnon J : L'Empire Latin de Constantinaple et la principauté de Moreé , Paris , 1949 .

- Malaspina , Saba : Historia Siculà , in Muratori , R.I.S.S. , vol VIII .

- Marinesco (C.) : Notes sur les Catalan dans L'empire Byzantii Paris, 1925 .

- Martène and Durand : Thesaurus novus Anedotorum , vol II , Paris, 1717 .

- Miller (w.) : The Latins in The Levant , A History of Frankish Greece (1204 - 1566) , London , 1908 .

- Nicol (D.) : Byzantium , its ecclesiastical History and relations with the western world , London , 1972 .

وهذا الكتاب يضم مجموعة من الابحاث المختلفة ، سبق للمؤرخ دونالد نيقول ان نشرها في مجلات علمية عديدة ، ثم جمعها في هذا الكتاب ، وقد تمت الاشارة إلي بعض هذه الأبحاث في حواشي هذا البحث .

- Oliver - Martin : les registres de Martin IV , Paris , 1901 .

- Ostrogosky : A History of the Byzantine State , English trans. by Hussey , Oxford , 1968 .

" : The Paleaologo , in C. Med. H. Vol. IV , ed. Hussey, Cambridge , 1975 .

- Pachymeres (G.) : Historiae Byzantinae , Liber I , De Michael Palaeologo , Weberi , Bonnae , 1853 .

- Painter (S.) : A History of the Middle Ages , New York , 1954 .

- Pappadopoulus (J.) : Theodore II Lascaris Empereue de Nicée , Paris , 1908 .

-Potthast (A.) : Regesta Pontificum Romanorum , 1198 - 1304 , 2 vols , Berlin , 1874 - 1875 .

- Previté - Orton : Italy 1250 - 1290 . in C. Med . H. vol IV , ed Hussey , Cambridge , 1975 .

- Ptolemy of Lucca : Historia ecclesiastica , in Muratori , Rerum Italicarum Scriptores , XI , 1727 .

- Read , warden and tutor : Political Theory to 1300 , in C. Med. H. ed. , Tanner Cambridge , 1968 .

- Runciman : The Byzantine Civilization , Cambridge , 1975 .

- " : the Sicilian Vespers , cambridge , 1988 .

- Sanudo M. : Istoria del Regno di Romani , in Hapf , Chroniques Gréco - Romanes , Berlin , 1873 .

- Setton K. : Catalon Domination of Athens , 1948 .

- " : The Latins in Greece and The Aegean From The Fourth Crusade to the End of the Middle Ages , C. Med. H. vol. IV , ed Hussey , Cambridge , 1975 .

- Strenfeeld : Karl V on Anjou als craf der Provence . Berlin , 1888 .

- Tafel and Thomas : Urkunder Zuralteren Handels und staats geschichte der Republik Venedig , Vienna , 1857 .

- Trifone R. : La Legislazione Angioina , Naples , 1921 .

- Ullman W. : A History of the papacy in the Middle Ages , 1972 .

- Vasiliev : The History of the Byzantine Empire (1324 - 1453) , 2 vols , U. S. A. , 1971 .

- Villani (G.) : Cronica , 8 vols , Florence , 1823 .

- Walter : La Ruine de Byzance , paris .

- Wolff (R.) : Studies in the Latin Empire of Constantinaple , London , 1976 .

وهذا الكتاب مثله مثل كتاب نيقول ، يضم مجموعة من الأبحاث القيمة ، كان المؤرخ روبرت لي وولف قد نشرها في مجلات علمية مختلفة ، ثم جمعها في هذا الكتاب .

